## الفصل الثامن عشر

# بيت المقدس

### المؤمنون والأخذ بالأسباب

يشترك الأفراد والجماعات والدول أيضا في ضرورة أخذهم بالأسباب حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وبالتالي، فعندما تكون هناك رغبة في إنجاز أمر معين، فهذا الأمر يتطلب جهداً مبذولا لتحقيقه. ولا يجوز السكون اعتمادا على التوفيق الإلهي في تدبير الأمور، فإن الله يحب العبد المجتهد، الذي ما أن بذل ما في وسعه حتى أدركته رحمة الله وبركاته في حسن إتيان ما أقبل عليه وبذل له الجهد المستطاع.

### أهمية الإعداد الإيماني

في صباح معركة "حطين"، وبعد صلاة الفجر تحديدا، استعرض صلاح الدين الأيوبي قواته وأخذ يتأكد من ترتيبات الخطة التي كان هدفها إنهاك العدو بإجباره إلى هبوط منحدر "حطين" بما في ذلك من مشقة وارتباك.

ولكن صلاح الدين كان قد اهتم منذ سنوات طويلة بأمر أهم وأدق، وهو الإعداد النفسي للجند المسلمين لأنه كان يعلم أنه بقدر الاهتمام بالجانب المعنوي والنفسي للفرد بصفة عامة وللجندي بصفة خاصة، بقدر ما تزيد قدرة تحمله

للمواقف الصعبة. وعلى سبيل المثال، هل يمكن لرجل لا يغض بصره عن محارم الله أن يشترك في موقعة الغرض منها ابتغاء مرضاة الله؟ أو أن يسهم في استعادة بيت المقدس؟ أو أن يكون ممن يطهرون المسجد الأقصى من أيدي أعداء الدين، وأن يصلى فيه ركعتين؟ وهل يجوز لشاب لا يصلى الفجر أن ينال شرف الجندية في معركة عزة للإسلام مثل معركة "حطين"؟ الإجابة واحدة، من لا يغض بصره ومن لا يصلى الفجر لا يجوز ضمه لصفوف الجند. وهذا يعنى أنه إذا أراد شاب أن يحظى باختيار الله عز وجل له ليكون ضمن المقاتلين في المعركة الفاصلة، فعليه أن يلتزم بتحري تقوى المولى تبارك وتعالى من خلال البعد عن المعاصي والإكثار من الطاعات. وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة التي لا ترتدي الزى الإسلامي للمرأة، فكيف لها أن تقوم بتربية ابنها تربية ربانية مثل تلك التي تلقاها صلاح الدين الأيوبي؟ وأيضا، كيف يمكن للشاب الذي لا يبر والديه أن يتحكم في مقدراته وأن يوجه نفسه التوجيه السليم؟ ألم يقرأ الآية الكريمة:

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[الإسراء:٢٣].

والأسئلة التي تطرح في هذا الخصوص ليس المقصود منها التعجيز، وإنما المرجو هو مواجهة الواقع بكل تفاصيله حتى تتم المعالجة الصحيحة للسلبيات القائمة. ودائما ما يلقى اللوم على الحكومات أنها لا تعمل على تحرير المسجد الأقصى، ولكن القضية لا تخص السياسات العامة ولا مقدرات ملوك ورؤساء، وإنما الأمر يتعلق بارتباط الشخص بربه حتى يختاره الله سبحانه وتعالى لمعركة مثل التي دارت بسهل حطين. وهذا هو بالضبط ما فعله صلاح الدين والمجموعة المعاونة له. وفى الحقيقة، القضية هي كيفية إعداد أمة تنصر الله فينصرها الله ويعزها، ويكون ذلك من خلال التربية على الأسس الإسلامية وغرس المعاني الإيمانية في الصغار حتى تكون لهم زادا يسلكون من خلاله الطريق القويم.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٠].

ومع بزوغ فجر يوم ٢٤ من ربيع الآخر لعام ٥٨٣ هجرية، كانت أول هجمة صليبية على جيش صلاح الدين في سهل حطين. ونزل من الهضبة ستون ألفا من الجند الغربيين لم يعد منهم سوى ثلاثون ألفا فقط، أي أنه خلال ست ساعات أبيد ثلاثون ألف جندي صليبي، بينما عاد الآخرون يخبرون عن الأهوال التي شاهدوها في سهل حطين.عندما رأى ابن صلاح الدين ما حدث قال: "إننا انتصرنا"، ولكن صلاح الدين قاطعه بقوله:"اصمت فوالله لا ننتصر حتى تسقط خيمة جايل أمير بيت المقدس ". ثم بدأت الهجمة الصليبية الثانية والتي كانت هجوماً شبه انتحاري لأنهم كانوا قد استنفذوا أجسامهم وأعصابهم طوال اليوم. الهجمة الثانية كانت أيضا بستين ألف مقاتل لم يرجع منهم سوى ثلاثون ألفا فقط. وهذا يدل على أن نصف الجيش قد أبيد في خلال اثنتي عشرة ساعة فحسب. ويتضح بذلك أن الخمسين ألف جندي المؤلف منهم جيش صلاح الدين كان يقاتلون بمعونة من قبل رب العالمين سبحانه وتعالى . ولكن تلك الحقيقة الواضحة لم تدر ببال الأمراء الصليبيين فارتكبوا الخطأ الفادح بالإقدام على شن هجمة ثالثة. ولما أراد هؤلاء القادة أن يشعلوا حماس جنودهم أمروا بعضهم برفع صليب ضخم اسمه "صليب الصلبوت" ومشوا في مقدمة الهجمة الثالثة. وبدأوا الانحدار الشديد ليواجهوا المسلمين مواجهة شرسة حيث كانت فرصتهم الأخيرة. وفى المقابل، أدرك قادة أفرع الجيش المسلم حماس الصليبيين فأخذوا يحفزون جندهم ويذكرونهم برضا الله والجنة. وبناء عليه، احتدم الوطيس وتفوق المسلمون حتى أتوا خيمة الصليبيين ومزقوها إربا، وسقط "صليب الصلبوت" في أيدي الجند المسلمين، ولم يبق من الجيش الصليبي بأكمله إلا الأسرى. أما أرناط وجايل، فقد حاصرهما مائة وخمسون فارسا مسلما.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١].

وانتهت المعركة بانتهاء اليوم، فكانت معركة اليوم الواحد، ولكنها في الواقع احتاجت إلى إعداد الأمة على مدي واحد وتسعين عاما على يد أمراء بني أرطق، ثم عماد الدين زنكي ، و مرورا بنور الدين محمود ، وانتهاء بصلاح الدين الأيوبي. وهذا يدل على ضرورة عدم اليأس من الأوضاع الحالية حيث إن المسجد ظل تحت سيطرة الصليبيين لمدة واحد وتسعين عاما اتخذه أثناءها الصليبيون حظيرة للخنازير، في حين أنه يخضع للاحتلال حاليا منذ سبع وخمسون عاما وتقام فيه الصلاة حتى الآن. وبالتالي، لازال الأمل معقودا على عودة المسجد الأقصى وتحرير كل ديار المسلمين بشرط خروج قائد جديد من بين صفوف شباب المسلمين مثل صلاح الدين الأيوبي. حقيقة، تتضاءل مشاعر الانتصار أمام الموقف الذي اتخذه صلاح الدين عندما تحقق من الانتصار، إذ أنه نزل من على فرسه وسجد سجدة شكر ظن من حوله أن روحه قد قبضت فيها من طول السجدة. ولذا، فإن دعاء صلاح الدين قبل المعركة وسجدة الشكر بعدها يدلان على نوعية القائد الذي نحتاج إليه ليقودنا إلى العزة.

## مكانة الصديقين عند الله تبارك وتعالى

انتهت المعركة ولكن تبقى الدروس المستفادة منها. وعلى سبيل المثال، أخذ صلاح الدين يبحث عن أرناط وسط الأسرى حتى وجده، وكان قد أقسم على قتله وقد فعل، وذلك لأن أرناط كان من الأشخاص الذين يقتلون الأطفال لمجرد حملهم الحجر. فهل لنا برجل يقسم على الله فيبره مثلما حدث مع البراء بن مالك وصلاح الدين الأيوبي؟ قال رسول الله ﷺ: **"رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره"**. قتل أرناط وانتهى عهده وظهر عهد جديد، عهد القوة والعزة للإسلام.

**الإسلام ... من آدم عليه السلام ... إلى محمد ﷺ**

أخذ صلاح الدين الأيوبي يتفقد الأعداد الغفيرة من الأسرى سواء الأمراء أو الجند الصليبيين الذين أتوا إلى الشرق بأطماع الثراء ودون أن يفكروا في اليوم الذي سيذوقون فيه مرارة الذل كيوم حطين. واسترجع صلاح الدين الأيوبي ذاكرة بعض أبيات الشعر التي كان نور الدين محمود يحتفظ بها ثم وصلت إليه. وتقول هذه الأبيات:

يـا أيهـا الملـك الـذي لمعـالم الـصلبان مـنكس

جـاءت ظلامـه تـسعى مـن البيـت المقـدس

كل المساجد طهـرت وأنـا عـلى شرفي مـنجس

وإذا كانت الأبيات جاءت على لسان المسجد الأقصى فذلك لأنه أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وأحد ثلاثة مساجد فقط يشد إليها الرحال، والصلاة فيه بخمسمائة صلاة في غيره من المساجد، وهو المسجد الذي بناه آدم عليه السلام. وقد أثبت الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن البقعة التي بني عليها المسجد الأقصى هي حكر لهذا المسجد ولا يجوز لأي شخص أن يبدل أو يشوه شكل هذا المكان، فيقول الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

ولذلك ينبغي أن يتأصل في عقيدة كل مسلم في كل زمان ومكان أنه ليس لأحد حق في أرض فلسطين إلا المسلمين، وأن هذه الأرض ملك لله تبارك وتعالى يورثها لمن يشاء. ولقد أطلق الصهاينة اسم إسرائيل على تلك القاعدة الصهيونية الموجودة على أرض فلسطين، رغبة منهم في إخفاء معالم التاريخ، غير أن رب العالمين لم يترك

موضعا يحاولون به تزييف الوقائع إلا أظهر حقيقته بآية من القرآن الكريم، وأكد على أنه ليس لليهود حق في أرض فلسطين. وليس من دليل أقوى على ذلك إلا الآية القرآنية التي تذكر لحظة احتضار سيدنا يعقوب عليه السلام، والمسمى بـ "إسرائيل"، وتوضح أن ملته هي الإسلام:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

ولنتأمل كذلك الآية القرآنية التي تورد مناجاة سيدنا يوسف عليه السلام لرب العزّة تبارك وتعالى:

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف].

ولننظر كيف يؤصل موسى عليه السلام لدى قومه الإسلام كعقيدة ومنهج:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس].

وقد اعترض اليهود زاعمين أنهم بنوا الهيكل في عهد داود وسليمان، فيفضح القرآن الكريم أكاذيب هؤلاء الصهاينة بتبيان الحقبة وطبيعة الملة والدين التي كان يدعو إليها داود وسليمان عليهما السلام، وذلك من خلال ما ورد في رسالة سليمان إلى الملكة بلقيس:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل].

ويجادل اليهود إذ يفسرون لفظ "مسلمين" على أنه استسلام وليس اعتناقا لدين الإسلام، فترد عليهم بلقيس بقولها لربها:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:٤٤].

ويلاحظ بكل وضوح في الآيات السابقة تأصيل عقيدة الإسلام لكل نبي ورسول من لدن آدم إلى رسول الله ﷺ. إذن، فالعقيدة التي اعتنقها كل الأنبياء والرسل واحدة. أما التحريف الذي أجراه الصهاينة فلا قيمة له عندنا نحن المسلمين لأننا نعتقد ما يعتقده الأنبياء والرسل . و لم يترك القرآن ولا الأحاديث الشريفة فرصة لتزييف الحقائق حتى ولو ذكرت الموسوعة الأمريكية المطبوعة سنة ١٩٨٠ أنه كان هناك هيكل يهودي قائم في بيت المقدس في وقت من الأوقات، وحتى لو ذكر ديورانت صاحب موسوعة الحضارة أن سليمان وداود كانا نبيان يهوديان، لأن القرآن ينفى ذلك، ولأن النبي ﷺ صلى بالأنبياء والرسل جميعا في المسجد الأقصى من ضمن ما حدث خلال رحلة الإسراء والمعراج. وبالتالي، ليس لليهود حق في أرض فلسطين حتى إن التاريخ يثبت أنهم لم يقيموا بفلسطين أكثر من مائتي عام. وقد ظل اليهود بمصر ثلاثمائة عام فلم لا يطالبون بحكم مصر؟!

## بيت المقدس

إن أسباب الانتصار في حطين لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وإذا كان الهدف هو إعادة أمجاد الأمة فينبغي البحث عن القيادة السليمة التي تؤدى إلى بيت المقدس، والالتزام بأصول التربية وأصول اختيار القيادات.

وبعد الانتصار الذي حققه في حطين ، شرع صلاح الدين في فتح الحصون المختلفة مثل الناصرة، وقيصرية، وحيفا، وعكا، وصافورية، وعسقلان، والطور، ويافا، ونابلس، وغيرها من المدن. واقترب صلاح الدين من بيت المقدس في ٢٠ رجب عام ٥٨٣ هجرية، وظل صلاح الدين محاصرا لهذه المدينة أسبوعا بأكمله حتى جرت مفاوضات في خيمته بينه وبين القائد الصليبي ليليان لبحث ظروف تسليم الصليبيين لبيت المقدس إلى المسلمين. ولأننا أبناء عقيدة الإسلام

ونستمد أصول معارفنا من القرآن الكريم و سنة رسول الله ﷺ، وبمفهوم هذه العقيدة، وقف صلاح الدين الأيوبي أمام ليليان ، ودار بينهما الحوار التالي:

"(ليليان) : إن الموت أيسر علينا من أن يملك المسلمون بيت المقدس، ودون ذلك، بذل النفس والمال والولد حتى نحفظه منهم!

(صلاح الدين) : إن هذه البلاد التي تسكوننها هي بلاد الإسلام، وأنتم الذين أتيتم من وراء البحر، وأطلقتم على أنفسكم اسم "الصليبيين"، وأصبح وجودكم عار على شرفنا ، ولن يخمد لنا جفن أو يرتاح لنا قلب حتى تجلوا عن هذه الأرض!".

وكم كان رد صلاح الدين الأيوبي مملوءاً بالحماس والثقة بالله ثم بالنفس! ونظراً لغطرسة ليليان وعناده، لم يجد صلاح الدين بدا من قذف أسوار المدينة بالمنجنيق حيث كان التركيز على باب عمر وتم فتحه.

**سماحة الإسلام**

وعند هذه اللحظة، تفاوض ليليان مرة أخرى مع صلاح الدين طالبا منه أن يسمح للصليبيين الرحيل بسلام، ولكن صلاح الدين كان له رأي آخر حيث إنه كان ما زال يدور بخلده المذبحة التي راح ضحيتها سبعون ألفا من النساء والأطفال والشيوخ عند استيلاء الصليبيين على بيت المقدس. ولذلك، أصبح من الطبيعي اعتبار الصليبيين أسرى حرب لأن ليليان كان قد رفض الرحيل في المفاوضات الأولى.

وكانت الفدية للرجل الصليبي قدرها عشرة دنانير، وخمسة للمرأة، وثلاثة للطفل. . بل، إن صلاح الدين ظل فاتحا لأبواب المدينة يوما كاملا لخروج من لم

يستطع من الشيوخ أن يدفع الفدية. ثم جاءته النساء تتشفعن لأزواجهن، فانطلاقا من تعاليم الإسلام الكريمة، فك صلاح الدين أسر رجال الصليبيين!

وإذا كان صلاح الدين قد تعامل مع الصليبيين بهذا القدر الهائل من السماحة، فلم لا يتعامل كل منا تجاه الآخر بمبدأ العفو عند المقدرة؟ ولذلك، فالمطلوب منا استنفار مشاعر التسامح الموجودة بداخلنا حتى يسود الوئام بين كافة أفراد الأمة.

***



obeikandl.com

obeikandl.com